المرأة الطُّوبَاوِيَّة

خِطاب الثّاني من مارِسْ

أحمد العرفاوي

سَيِّدَتِي ، الأَرْجَحُ أَنَّكِ فِي مُخَيِّلَتِي فَقَطْ، و الوَاضِحُ أنَّكِ رَوَاسِبٌ مِنَ الفَوْضَى، لَكِنَّنِي بِانْتِظَارِكِ، وَرَاءَ زَحْمَةِ القَطِيعْ، و تَحْتَ طَيَّاتِ الجُنُونْ...

«عندما أكون معكِ، تذهبُ مدَارِكِي و تُصْبِحِينَ أنتِ
دِينِي و عَقِيدَتِي و قَبِيلَتِي.»
أسامة الجلالي

«لا أعرِفُ لماذا ، لكنني كنتُ ولا أزال أخافُ الحياة
أكثرَ منَ الموت.»
صالح الفيتوري

إن الشتاء وحده هو القادر على إخراج الحزن من طيَّاتِ دفئه ، و الجنون وحده هو القادر على الإرتفاع بالأحلام إلى السّقف ، إلى أيّ سقف .

خِطاب الثّاني من مارس

مرحبا ، هذا أنا إرنستو
اليوم هو عيد الأعلى عن البهائيّة ، وعيد ميلادكِ الذي صنعتُه في مُخيّلتي ، وهذا يعني أنه يومٌ عظيم صَحْ؟
فهلْ سبق و ان كانت هدية عيد ميلادك خطابا؟
أظن أنها الأولى ، و متأكد من أنها الأولى بهذا الشكل .
طَيِّبْ ، أنا الآن أكتب لكِ مطوّلًا ، و أشرح لك صدري ، و أهدِيكِ طفولتي و هواجسي و مفرداتي.
لا شيء أخفيه عنكِ هنا ، و لا شيء أطلبه منكِ سِوَى مجالٍ واسعٍ لهذا الخِطاب الفوْضويّ ،
و بريدْ ، أيّ بريدٍ أكتبه على ظهرِ رسالتي هذه قبل تمزيقها أو إرسالها .

لقد اِعْتَدْتُ الكتابة للجماهير ، أن أصف الشيء على إنفراد ، و أُدقِّقَ فيه ، و أتمعّن في إتّزان العبارات و شكلها اللّغوي ، و لكن في هذه المرة أنا أكتب عنكِ و عن نفسي ، لا أدري لماذا و ما هو السبب و لكنني هكذا أحترم قراراتي ولا أناقشها كثيرا ، ربما ستقعين في المحظور و ربما تهربين ، و لكن لا شأن لي بذلك فأنا هنا لكي أحرّر نفسي مرّة أخرى ، أنا أكره العقد ، و أكره النفاق ، و أكره البشر ، و لكنني أكتب عنك من نافذة ردٍّ اعتبار ، و عِتْقٍ من الماضي و صيف شحيح بالأغاني ، ففي هذه الليلة أنت أغنيتي ، التي ألحّنها و أكتب كلماتها و أُرَتِّقُ سَقَطَاتِهَا ، وحدي ، و على إنفراد .

عزيزتي ، إنها المرة الأولى التي يكتب فيها شخص لك شيئا كهذا ، و بأي شكل هذا ، و بأي طريقة هذه ، أقول لك هذا الكلام لكي أطلب منك التركيز بطريقة

أخرى ، و القراءة من زاوية أخرى ، و إلتقاط الكلمات بإحترافية أعلى ، ربما ستقرئين المقدمات الطويلة بتركيز أشد من الجمل العابرة التي أَدُسُّ فيها وساوِسي و هواجِسي و سُمُومي ، و لكن إيّاك و المرور سريعا بين صفحاتي التي خبأتها عن أحِبَّائي و عن ظهري .
أنا الآن بصدد الإقدام عن كسر بعض القواعد بيننا و لكنني لا أخشى كسرها ، ربما ما يخيفني حقا هو النَأْيُ عن المقامرة ، و العزوف عن الجنون ،
لذلك عزيزتي يجب أن تدركي جيدا أنّ ما أقوم به هو إيمانٌ بك و بمخزونك من الجنون ،
الجنون الذي لم يصدر عنك بعدْ ، و الذي ينتظر فرصةً كهذه التي بين يديْكِ لكيْ يصعد إلى السماء و يعلو صوته تحت السّحاب المُؤَدِّي إلي الآخرة .

لا أدري كيف ، و متى قرّرتُ فعل هذا ، ولكن هذا الأمر استغرق منّي الكثير من الوقت و الألم ، فلِكَيْ تكتب شيئا ، أيّ شيء ، يجب أن تتألّم أوّلًا ، لأن روعة

الكتابة تكْمُنُ في ألم صاحبها ، و شدّة حُرقته ، و حنينه الى ما لا يعود ، و أسَفُهُ على الأغنيات القديمة .
أنت الفتاة الثالثة التي أكتب لها ، لقد كانت الأولى حلما سيئا جدا ، لكنها علَّمَتني الحب و الشعر و الكتابة .
دامت علاقتي بها أربع سنوات كاملة ، إستنزفتْ فيها طاقاتي و أحلام طفولتي و ضحكاتي التي لا شأن لها بعبثية الدنيا و لعنة الكِبَرْ ، قرّرتُ بعدها الهروب منها إلى أي شيء ، و كان هنالك فتاة تُدْعَى أونوري ،فتاة لا تجيد الحب ، دماغها لا يعمل بالسرعة المطلوبة إلّا في سوء الظّن.
لقد كانت فتاة مُسْتَهلَكة يوجد الكثير منها ، في المقاهي و الحانات ودور السينما ، الآن وفي هذه الساعة المتأخرة من الليل لو نزلت إلى الشارع سأجد سبعة نماذج منها على الأقل .
لقد كتبتُ لها أيضًا ، كتبتُ لها لأنّني أحببتها بصدق ، كنت أدرك كل هذا ، لم أكُن مُغَفَّلًا .

والغريب في الأمرِ أنّ اونوري هي أكثرُ شخصٍ آمَنْتُ بِه ، و أكثَرُ شخصٍ خذَلنِي ، لقد كانت خيبة أملي الكُبْرَر.
لكنني لا أدري ما إذا كانت تلك الفتاة سيئةً كُلِّيًا أم كانت سيئة في علاقتها معي فقط ، فأنا أعلم أنّ في مرحلة ما من حياة الإنسان عندما يكون متعبا من الدنيا و أهلها و حين يأتيه الشخص الصَّحْ في الوقت الخطأ يضيّعه بسخافة ، بل و يعذّبه بأشّدِ الأساليب.

صحيح أنني كتبتُ لها كلامًا عاطفيًّا عظيم الروح ، و صحيح أنني تَغَنَّيْتُ بها كثيرا ، ولكنني في نهاية الأمر كتبتُ لها أنها لا تستحق مني سطرا واحدا ولو مسروقا ،
وكتبتُ لها أنّ هذه المدينة ستُلاحِقُها إلى الأبد ، لأنّني أُدرك ما أقول و أعلم جيّدا أنَّ المُدُنَ تنتقم لأصحابها ...،
لقد كنتُ كسَائِرِ الفقراء لا شيء مُغْرٍ عندي أستطيع

تقديمه سوى روحي ، أنَا لا أكذب لقد أهْدَيْتُها روحي ، ولكنّها قَابَلَتْنِي بِطاقةٍ من الشّر ،
لقد كانت تحرِقُ صدري ثم تَطلُبُ منّي إخماد النار، كانت تنساني ثم تعاتِبُني على نِسيانِها،
لقد كانت سُمًّا يَسْرِي في داخلي .
وكُنتُ أتَحمّلُ ظنًّا مني أنها مجرّد فترة سيّئة تمُرُّ بها ، حتّى اتّضح أنها هي التي كانت سيّئة وليس الوقت... ربما أنا أظلمها بهذا الكلام فكلّ نفْسٍ بها ما يكفي من الهُمُوم لتَظْهَرَ بمثل ذلك الشّكل الذي ظهرت به أونوري معي ، لكن صدّيقيني لقد إرتكَبَتْ تلك الفتاة جريمةً في قلبي ، وتَصَدَّرتْ جدْوَلَ أحوالي الحزينة.

لقد كتبتُ لها وقدَّمْتُ لها كلّ هذا لكنني لم أسألها لماذا فعلت بي ما فعلت بي ، لأنّني مُقْتنعٌ تمامًا أنّه لَأمرٌ سخيف أنْ تلومَ أحَدَهُمْ ، مهْما كان جُرْمُهُ.
أنَا لَمْ ألُمْها على شيء ، ولم أفكّر حتى في الانتقام منها على كلّ الخراب الذي تركَتْهُ في أحشائي ، بل على

العكس تمامًا ، لقد صنعتُ منها شيئا عظيما يدون في الروايات ، و يحلل في دور النشر ، و يطبع في المطابع ، و ينشر في المكتبات ، و يوضع في رفوف القراء ، و يغير نظرة أحدهم ، و يوقظ تجربة بعض الناس ....
أمَّا الآن فهي مرفوضةٌ في كل أصقاع الدنيا ، و مُرْتَبِكَةٌ في كل الإتجاهات ، لكنّها محظوظة جدًّا و خالدة إلى قيام الحياة مُجَدَّدًا...

وفي هذه المرة و أنا أكتب لك أنتِ ، أنا لست أعمل ، أنا أشْعُرُ في هذه المرة ، أحس و أكتب ما تمليه الكلمات ، و أنقل ما تبعثه السماوات من وحي ، و أركض في مخيلتي...

سأحدّثك عن نفسي ، و عن وحدتي و غربتي و أحلامي ، و عنك أنت ،
أجلْ ، سأُحدِّثك عنك ، و ستكون المرة الأولى و ربما الأخيرة التي يحدِّثك فيها شخص عنك في خطاب

طويل جدا ، لا سعيدًا و لا حزينًا و لا أحدْ ، لا أحد يدرك داخلي الجامح للانفجار و المفعم بالرغبة ، الرغبة في كل شيء ، و في فعل شيء ما لأجل شخص ما ، ثم الهروب ، لا أدري إلى أيْن ، و لا أدري إذَا ما كان هو الخيار السليم ، و لكن الهروب ينقذ ما تبقَّى دائما ، و يُرَتِّقُ الجروح بِرَداءَةٍ و بُطْءٍ شديد .

ها أنا هنا ، في الصفحات التي جَهَّزتُها لحضورك و غيابي ، و ها أنتِ الآن تقرئين كلماتي ببطئ و لهفة يكسوهما الحذر ، الحذر من شيء ما قد أكون دَسَسْتُهُ في كلماتي ، و الخِشْيَةَ من حقيقةٍ ما قد أكون لفظتها بدهاء ،
ربما ، و لكنني مع كل سطر لا أدرك ما سأكتب في السطر الموالي ، أنا مدرك فقط أنني أُوفِيكِ حقّك بطريقة غريبة ، و مدرك كذلك بأنني أُقْحِمُكِ في صراعٍ معقّد بين الواقع و الجنون ، وبين المشاعر و المفردات ، صراعٌ لا ذنب لك فيه و لا ملامح تُوحِي بأنك أحد

أطرافه ، لأنك بريئة عزيزتي ، و خالية من الشّر .
لا أدري كيف و لكنني أرسُمك في مخيلتي ملاكًا من الياسمين ، و وردا من كُفوف الأنبياء ، و صرحًا على عتبات عكّا ، هل تعرفين عكّا ؟
إنها المدينة الأعرق و الأجمل ، لها أسوار عنيدة مثلك ،
هي مدينة البِحارِ و الكنائِس ، و أنت مدينتي في هذا الكتاب ، و لكن المحزن أن الكتب عادة ما تُقرأُ و تَنْتَهِ و تُرْمَى جانِبًا ، ثم إني لا أريد منك الإنتهاء ...!

هل ترين كيف هي الأشياء فوضويّةً جدّا معي ؟

أنا أقول هذا الكلام للمرة الأولى ، و أنت محظوظة جدا لأنه يقال لك أنت ، لا أدري كيف و لكن لا بد أن تتواجد حكمة ما منْ وراء كل هذا ، و لا بد من سرّ تخفيه هذه الرغبة الطفولية في الكتابة لك و لعينيك الخرافيّتيْن .

عزيزتي ، لا أحد يُدركُني جيّدا ، و لكن هل تعلمين سبب هذا ؟
إن السبب يكْمُن في ملامحي التي لا تشبهني أبدا ،
إنها بريئة و لكنني لست كذلك
مسالمة و لكنني لست كذلك
طفوليّة و لكنني لست كذلك

لقد ولدتُ بحيٍّ فقير لا يُرحِّب بالغرباء ، أغلب سكّانه من الطبقة تحت المتوسط ، كانت فيه طفولتي غريبةً بعض الشّيء ، فقد كانت عائلتي ميسورة مقارنةً بالبقية ، وكنتُ ألاحظ الفوارق المادية بيني و بين أترابي ، كنت أرتدي الأقمصة الصوفية الفاخرة و أشاهدهم كيف يرتعشون من البرد ،
في المدرسة كنت أشتري السندوتشات السريعة و أرى نظرات أصدقائي الجائعين الحاقدين ، كنت أحترم حقدهم لأنه لا ذنب لهم ، و لا ذنب لي كذلك.

بعد ذلك لا أدري كيف تسارعت الوقائع حتى بِتْنَا عائلة متوسّطة الدخل ، و أحيانا تحت المتوسّط ، و أحيانًا فقراء ،

فبعد كل ذلك البذخ عايشت الليالي الباردة ، و الخالية من الطعام ، و الخالية من الدفء ، و الخالية من الأمل .

بدأتُ باسْتِيعَاب الحياة التي لم أكن جاهزا تمامًا لمُلاَقاتِها ، لم أكُنْ عاتيًا ، كنت مجرد طفل بريء ، و لكنه يكتشف للمرة الأولى أنّه ينحدر الى الفقر ، و أن والديه يعانيان من أمراض مزمنة ، وأن أزمة كُبْرى تنْهال على خبزنا و دوائنا ...

كنت في سن الثانية عشر ، حين قررت التعويل عن ساعدي و التضحية بالعطل الشتوية و الصيفية و حتى عطل آخر الأسبوع للعمل .

و كطفل صغير في ذلك الوقت كان الإقدام على شيء كهذا أمرا صعبا و كأنني أقتل أحلامي في ذلك الوقت ، كيف لي أن أقضي طفولتي من المدرسة إلى العمل

ثم من العمل إلى المدرسة ، خصوصا و أن كل الأعمال التي عملت بها تُعتبر شاقة على طفلٍ صغير !

في البداية عملت في مصنع للنّجارة ،

في الصباح أقوم بحكِّ الألواح و الأبواب و تنظيف رشّاشات الطلاء بمادة «الدِّيكَابُون» المحظورة على الأطفال لأنها قادرة على إذابة جلد اليدين في أقل من دقيقة ، و بالفعل عانيت منها في عديد المرات.

و في المساء كنّا نذهب لتركيب المطابخ في منازل الزبائن التي عادة ما تكون في الطابق الخامس أو السادس ...، و أتذكر كيف كنتُ أصعد إلى هذه الطوابق العالية على السّلم و أنا مُحَمَّلٌ بأدوات العمل الثقيلة ، كان الأمر مرهِقًا جدا ، و قاسٍ على صبيٍّ مثلي ، و بعد كل ذلك الإجهاد كنت أبكي كثيرا على إنفراد ، كنت أشاهد يدي الخاليتين من الشقوق تحمّر و تنتفخ و يظهر عليها أثر المعاناة .

صدِّقيني لا أحد يعلم هذا الكلام فأنا أقوله للمرة الأولى و لك أنت وحدك ، و لا أدري لماذا...

في ذلك المصنع كنتُ العامل الأصغر سنّا ، وكنت أتقاضى مائتان و خمسون دينارا فقط مع نهاية كل شهر ، وكنت أُقَسِّمها بين المساعدة في شراء أدوية أمي و بين شراء بعض الملابس للعودة المدرسية و بين بعض الألعاب الرّخيصة لكيْ لا أنسى أنّني طفل ، مازِلتُ طفلاً ، مازلت طفلاً...

كنتُ أعمل كل العطل بهذا المصنع لمدة ثلاث سنوات حتى كسر زميلي حجرا رخاميا في المصنع عن غير قصد ، كنتُ حاضرًا عندما وقعت الحادثة ، و لكن صاحب المصنع اتَّهمني أنا بكسْرِها ، كان يدرك أنني بريء و لكنه رجل خبيث فعل ذلك فقط لكي يجعلني أدُلُّهُ على الفاعل الحقيقي ، لم أشَأْ أن أخبره الحقيقة و أقطع رزق زميلي و لكنه عرف الحقيقة أخيرا ، ثم بعد ذلك اتّهمني بالتّستُر عن الفاعل ، فعَلَ كل ذلك لكي لا يدفع لي أجري ، و لكنني أخذته بطريقتي ...

بعد ذلك عملت لثلاث سنوات أخرى في تركيب الجبس ، كنتُ أستيقظ على الساعة الخامسة أركب التاكسي الجماعي ، ثم المترو ، ثم المترو مرة أخرى ، ثم القطار ، ثم أمشي لأكثر من كيلومترين على قدماي ...،

كل هذا لكي أصل إلى العمل ، كل هذا و يومي لم يبدأ بعد !

كنتُ أصل إلى مقرّ العمل متعبا أساسا ، و الشغل كذلك كان مرهقا جدا ، فمِنَ الطبيعي جدا أن تظلَّ معلَّقًا لساعاتٍ بين الخشبة و بين السقف لكيْ لا تميل لوحات الجبس ، و من الطبيعي جدا أن تصعد إلى السطح بأكياس تزن خمسين كيلوغرامًا ...

كان يُحيِّيني بعض الزبائن ، و يحتقرني آخرون و لكنني كنت أقاوم ، أقاوم فقط لأنني كنت مدركا للوضعية الصعبة التي تمر بها عائلتي ،

كانت أمي تسألني عن الأحوال في نهاية كل يوم و تلاحظ لون بشرتي الأزرق من التعب و تطلب مني

الإنقطاع عن العمل ، و لكنني كنت أقول «»لا بأس ، أنا بخير يا أمي ، أنا بصحة جيدة ، و العمل مريح جدا ، و الرفاق طيّبون ...»»

كان هذا في العطل ، و لكن حتى بعد إنتهاء العطل كنت أستمر في عملي من المنزل ، كان لي ركن خلف غرفتي أصنع فيه الألواح الجبسية بعد العودة من المدرسة و أبيعها للعمّال بدينار و نصف.

بعد ذلك اشتغلتُ في الكثير من الأماكن والمهن ، اشتغلت كصانع لعمّال البناء ، و اشتغلت في تنزيل التمور ، و تفريغ المنازل ،وبيع الخُضَرْ ، وبيع العسل ، وبيع قطع غيار السيارات ...

اشتغلت كثيرا ، لا أدري هل هذا الكلام يجعلكِ سعيدةً أم حزينةً و لكنني فخور بكل هذه الأمور .

فرغم كل هذا كنتُ تلميذا مميّزا دائما ، لا أدري كيف و أنا لم أكن أمارس أي تعليم مواز أو حصص تدارك ، و لم يكن أحد يدرّسني من عائلتي كذلك ، كنت أتعلّم من المدرسة و الإعدادية و المعهد فقط ،

حتى و إن اخْتَلطَت الأمور في فترة مَا و قادتني المراهقة إلى الانسياق وراء تدخين الحشيش والأقراص المخدرة و مجموعات الألتراس الإجرامية ، حتى في هذه الأمور كنت صغيرا جدا ، لا أدري كيف حصل كل هذا و لكنني وجدت نفسي محاطا بالمجرمين و اللصوص و الهاربين من الشرطة ،

و دخلت في علاقة بالتوازي مع الفتاة الأولى ، و اختلطت مشاعر الإيهام بالحب ، و الإيهام بالبطولة ، و الإيهام بقيمة الإنسان وسط كل ذلك السراب و كل تلك الأجواء المتعفنة .

تغيرت كثيرا بعدها ، صرت ولدا مثيرا للمشاكل لا هم له سوى حماية الفتاة التي يحبها و الذهاب لمشاهدة مباريات كرة القدم وتدخين الحشيش ...

كنتُ مُغفّلاً جدا وكانت فترة سيئة للغاية من حياتي ، و لكنني أظن أنها كانت تحريرا لذاتي من الطفولة المعقدة التي عشتها ، لقد غفلت عن ذكر تفاصيل أخرى مهمة لك و لكنني أودُّ التّحدث بسرعة شديدة

عن هذه الفترة لأنني أكرهها ،
وأكره تلك الفتاة ،
و أكره الحشيش ،
و أكره الأقراص المخدرة ،
و أكره مجموعات الألتراس ،
و أكره مراهقتي ،
و أحبُّ عيْنيْكِ .

لقد تحدثت مطولا عن أمور ربما لا تستهويك القراءة عنها ، فأنا أعلم جيدا أنك تقرئين هذه الكلمات بلهفة شديدة باحثة فيها عن نفسك ، إطمئني ستجدينها ، فأنت أساس هذا الخطاب و جوهره وروحه ، أنت الفارس في هذه الليلة ، وأنت سلطانة صفحاتي .

....

طَيِّبْ ، أظن أنه قد حان دورك أنت ، فهذا يوم ميلادك ، إنه يومك وحدك ، و أتمنى أن أصنعه بيداي ، من أين سأبدأ ؟

ليس لي مكان محدد أنطلق منه ، و ليس لي هدف محدّد أُصوّبُ نحوه كلماتي ، فقط في هذه الليلة انا اكتب لك بثقب عميق في جوْربي الأيسر ، و بثقب أعمق في صدري ، و لا أدري إلى أين نحن ذاهبون .

و لكن هل تعلمين شيئا ؟

هناك نوع من البشر يا عزيزتي هشٌّ جدًّا من الداخل ، تُحرِّكه العيون و الكلمات ، والضحكات مجهولةُ السبب ، و الأسرار المشتركة ، و الجنون المتبادل ، و الدفء ...،

أنا أحب هذا النوع من البشر ، و أنا لم أهرب بك إلى هذه الصفحات لكي أقول كلاما مستهلَكًا يدركه الجميع ، بل لِأقول كل الأمور التي لا بُدَّ لها أن تُوَضَّح ، و كل الحقائق التي لا بُدَّ لها أن تستريح .

ذكرتُ لك للتَّوِ نوع البشر الذي يستهويني ، في الحقيقة هو ليس بنمطٍ متكامل الأوصاف لبعض البشر ، بل هي فتاة واحدة قابلْتُها بهذا الشكل ، إسمها جُوقَانَا ، لا صديقةً ولا حبيبةً ، كانتْ تصنعُ يومَ مُخَيِّلتي.

لقد دخلتُ في الكثير من العلاقات قبلها و لكنها كانت مختلفة تماما لا أدري كيف ، نظراتها بريئة ، ابتسامتها تخترق كل أنظمة حماية القلوب البشرية ،

كنت كُلّمَا قَطَعَتْ صباحي لا تقول «صباح الخير»،

كانت تضحك فقط ، ثم أضحك بعدها ، هكذا بِدُون أسباب واضحة ،
لقد كانت تمدّني جوفانا بطاقة حب من النوع المغلّف بالطفولة ،
أعلم أنني تماديْت جدا في وصفها و لكن دعيني أواصل وصفها أرجوك ، فهي جميلة جدا ،
هكذا هي جميلة بدون معايير ، و الأجمل من وجهها روحها ،
يا الله أنا عاجز عن وصف روحها ، فهي أطهر من كلماتي ، و أرقى من قصائد العرب القديمة و الحديثة .
إنها أكثر فتاة جعلتني أشعر بالارتياح تجاه نفسي ، و بالانفلات من الواقع الرديء ، و الناس المزيفة ، و الكلام المستهلَك ، و العقول الخالية .
هي ساحرة ببساطة ، تُكْمِلُنِي بكلّ تفاصيلي ، و تدرس ملامحي بإختصار ، و ترمي عيونها على صدري ، تمامًا كما يفعل الصّقر إذا جاع ، و الروح إذا لمحت شبيهًا .
و بين كل هذه الفوضى كانت أونوري الفتاة التي

تربطني بها التزامات إنسانيّة ضخمة ، كنت أصارع ببراءة من أجلها ، وكنت أعلم أنها مريضة بالتزييف ، و لكنني دائما ما أقول أنه يكفي لكل إنسان أن يدرك حقيقة نفسه فقط فهذه هي النقطة الأهم ...،
و في الأثناء كنت أرى الإختلاف بين أونوري و بين جوفانا هذه ، ثم أسأل نفسي
«» لماذا أتمسك بأونوري بينما أنا أبحث عن جوفانا؟»»

غريب صَحْ ؟
أنتِ لا تزالين تبحثين عن نفسك في هذه الصفحات و تسألين من هذه جوفانا ؟
لا تقلقي سأتحدّثُ عنكِ مُطَوَّلًا ، ركّزي معي فقط .
لقد كنتُ مع أونوري بينما كانت جوفانا تزرع في روحي الأغنيات ، و توقظ الدنيا في صدري ، و ترفع من سقف المشاعر إلى أعلى أسوار الجنة ، لقد كانت جوفانا جنّتي .
كنت وكأنني أقدّم المشاعر التي توفرها لي جوفانا

إلى أونوري ، فعندما كانت تبتسم لي كنت أنقل أثر الإبتسامة تلك إلى الأخرى.
كانت شكلًا مغايرًا من الحب ، أعمق و أكثر جنونا ، لقد كانت تلك الجميلة مِحْوَر كل شيء ، وكنت أنا من النوع الذي يمارس مشاعره بشفافية و لا يخفيها ، و لكنني وجدت نفسي أخفي مشاعري للمرة الأولى حيث تقتلني إستثْناءَاتي و غُرْبتي و أفكاري.

كيف لشخصٍ عانى من كل خيبات الدنيا أن يُمهِّد الطريق لخيبة جديدة من النوع اللطيف ؟

لوْ كانت جوفانا هنا بين أسْطُري و كلماتي لطلبتُ منها الإعتذار لأنني أخَّرتُها عن نفسي ، و ذبحتُ داخلها فرحي ، و صرختُ في أحشائها صرخة جنديٍّ آخر ساعات الحرب و أولى ساعات السِّلم و دفنتُ مخيلتي الصغيرة في عيْنيْها الحَزِينتيْن .
إنّها سحرٌ من الزّمن الجميل ، و روح من الأقحُوَان

المعدَّلِ باللاّزَوَرْد ،

إنها ملجئي الأوحد في الدنيا ،

و لهفتي الكبرى على الحياة ،

و نورس أقلامي ،

و شتاء قصائدي ،

و شوارعي المزدحمة من الظلمات إلى النور ،

هكذا كانت جوفانا النور الوحيد الذي يقود إلى المجهول .

فرغم أن هذه الفتاة لا تشبه غيرها فقد كانت تشبهكِ كثيرا ،

إنها مَلْحَمَةٌ تُنحت فيها الروايات على الصّخور ،

والآيات على الأحجار الكريمة ،

و القصائد على المُرتفَعات ،

و أسماء الشّهداء على مَدافع الغُزاة ،

و أنحت فيها عيونها على جدران مدينتي ، لا أدري أيّ الكلام يليق بها !

كنت أحبّها و لا أدري كيف أحبها و بأيّ طريقة

يجب أن أحبها ...
لقد كان حضورها كافٍ ، إن حَضرتْ أنسى الدنيا و أهلها و أغرق في عينيها كبحّار يسقط في الأعماق فلا تنفعه الذكرى .

والآن عزيزتي سوف أنقل لك قصة قصيرة قرأتها لغابرييل غارسيا ماركيز :

«ضاع طفل في الخامسة من عمرهِ، وفقد أثر أمه وسط حشد في معرض في المدينة.
ذهب الطفل إلى ضابط شرطة وسأله:
هل حصل ورأيت امرأة تتجول في الأرجاء تبحث عن ابنٍ يشبهني؟»

أنا مثل هذا الصبي و جوفانا مثل أمه التي ضيعها وسط الزحام ،
و هكذا تماما و بهذا الشكل لم أكن أنْوِي أن أضيّعها ،

و لكنني كنت مُكَبَّلاً ، لا حيلة لي ،
لم أستطع معانقتها ، و لا التّمسك بيدها ، و لا التمعن طويلا في عينيها الماسيَّتيْن ، وهذا الأمر يجعلني غاضبا جدا ،
فكيف لي أن أخاف التّقرب من الفتاة التي حرّرتني من خوفي ؟
و إستوعبتْ جنوني ؟
وشكّلت أيامي الحزينة بابتسامتها ؟
وخفّضتْ من هوْل الدنيا بصوتها ؟
و قفزتْ إلى أبعد عواصم الحزن لتُنقذني ؟
كيف لي أن أصمت أمامها ، دون أن أقول لها تعاليْ إليّ ، ودون أن أهرب بها إلى مكان غير هذا المكان النّمطي ، و زمن غير هذا الزمن الجنوني ؟

في ذلك الوقت انتابني الخوف أكثر ، و لكن هل تعرفين هذه الفتاة ؟
هل أعجبكِ كلامي عنها ؟

لقد قلتُ لك أنّ جوفانا هذه تشبهكِ كثيرا ، هل
تدركين لماذا ؟
لأنّها أنتِ
إنها أنت ، أنا في ورطةٍ لا مخرج منها ، لأني أحبك أنت
،
و ما كدتُ افتح هذا السجالْ
أحبك أنت ، و هذا إعترافٌ
لأن الطريق الى المستحيل إستحالْ
ولَدَيَّ من الماء بما يكفي لأجهز جيشا من النعناع غدًا
و اخْرُسَ في أضواءِ مدينتكِ
و اعْلُو كالسَّقْفِ الجارِحِ ، كالصّقرِ
و عيُونُ البرْدِ على الأحضانْ
على أسوارِ حديقتكِ
أنت ، ثورة عشاق مدينتك .
و مازلتُ أكتب عنك ، مادمتُ حيًّا
و مازلتُ أبحث عن عطركِ ، مادمت حيًّا
و مازلت أرّتب كلماتي لرؤيتك ، مادامتْ عندي كلماتْ

و مازلت أغرق في عينيك في كل مرة و كأنها المرة الأولى ، مادمت أملك بصرا .
مازلت أعدُّ أوجاعي ، و أنت لست بها ، و هذا يكفي لكي أقول لك أني أحبك حتى التّعب ،
و أتعب فيك حتى الزوّال و لا أزُول ، أنا لا أزُول.

أنا هنا لأنني أتحدث عنك فقط ، و أسميتكِ جوفانا لأنك رحمة الإله ، و حنان الرب ،
أسميتك جوفانا لأنك صدقة جارية عني ، و دعاء أمي بالنعم ،
كَمْ أنت نعمة ، وكم أنت دعاء ، و كم أنت دواء للأرواح .
قد تكونين الآن في حالة صدمة من هذا الكلام ، و لكنني قدمت لك العديد من المؤشرات التي تؤكد ما أقول ، أنا حقا آسف و لكنها الحقيقة ،
قد أبعثر أفكارك بما أكتبه و لكنه حقيقي جدا ، لا تزييف فيه و لا مبالغة ،

أنا لا أعمل في هذا الخطاب ، أنا أشعر فقط

أنا أجدّد لك روحي و كلماتي لأنك الوحيدة التي جعلتني أكتب من دون تفكير ، و من دون تعقيدات و من دون تركيبات مملة ،

أعذريني عزيزتي ، أنا لا أستطيع المرور بك دون الكتابة عنك

و لا استطيع تجاوزك دون أن أحبك

و لا أستطيع مراوغة الحواجز التي بيننا ، أنا أحطّمها في هذه اللحظات ، أنا أحطم قواعدي بيدي...

أعذريني لأني تعبتُ من التظاهر بأنني إنسان عادي ، لدي موقف سلبي من كل ما هو عادي من أشخاص و من كلام و من ردود و من قهوة...

أنا مجنون رسمي ، و أنت مجنونة أيضا ،

أنا لست واقعيًّا أبدًا ، و أنت لست واقعيّةً أبدًا ،

أنا أكره الرّسميات و أصحاب البشرة الصفراء ، و أنت كذلك

لهذا أنا أحبك ، لأنكِ أنت ، لأنكِ مرآتي و آخري

الشّخصي ،
أحبك أنت لأني أرى نفسي كلما نظرتُ إليك
و أرى حلما كلما حدّقتّ في عينيك
و أضحك من أعماق قلبي كلما جالَسْتُكِ
أنتِ فريدةٌ مثلي ، هكذا يقول أصدقائي
و أنت حزينة مثلي ، هكذا أقول في سري
و من المؤكد أن يكون هذا الكلام صحيحا ، لأنني لا أستطيع أن أحب إلا الأشخاص البائسين مثلي ، فحتى إن بدوْتُ لك ضاحكًا فأنا لا أكون كذلك إلا معك أنت فقط ، و هذا شيء عظيم ،
إن روحي العتيقة التي تكره الدنيا تضحك كالأطفال معك ، و أنا أراك كذلك تضحكين كالأطفال معي ، أنا لا أعلم حقيقة مشاعرك و لكن هذا التواصل الروحي القوي الذي بيننا لا يشبهه أي شيء آخر في هذه الدنيا ،
نحن غرباءٌ عن العالم ، و عواصمُ بعضنا البعضْ ، لا بُدَّ لك أن تستوعبي هذا الكلام ...

أنا أراك كيف تتحولين إلى طفلة بريئة معي ، و أرى نفسي كيف أتحول إلى رجل خالٍ من الجراح معك ، إنك تكملين المتبقي مني بطريقة أعْجَمِيَّةٍ لا أدركها .

هذا سحرٌ يحدث للمرّة الأولى ، و للمرّة الأخيرة ، فأنا أعرف نفسي جيّدا و أعلم أن هذا الكمَّ الرهيب من الشعور بالإنتماء لن يتكرر مجددا ،
أنا أنتمي إليك أنت ، لا أدري كيف و لكنك لا تدركين حجم المعارك التي خضتها مع نفسي حتى أبدو لك بهذا السلام ، و لا قسوة الوحدة التي تلبسني في كل ليلة ، لا أعلم كيف و لكنني أشعر وكأني غريب عن كل شيئ ، أو كل شيء غريب عني ، كأنني لا أنتمي إلى أي شخص و إلى أي مكان غيرك أنت .
اللعنة ، هذا الخطاب فوضوي جدا ، فكان الله في عوْنِك على استيعاب كل هذا الجنون .
فهذا الجنون يقتلني سيدتي ، و هذه الفوضى تُشعرني بالضياع في مخيّلتي .

فقط تأكدي أن لا أحد يستطيع أن يرى فيك ما أراه فيك ،
و لا أحد يستطيع أن يصف جمال روحك مثلما أصفه لك ،
أنا فقط من يستطيع أن يمدّك بهذه الأحاسيس التي عجِزتُ عن مدّها لنفسي ، و فشلتُ في ترويضها كثيرا .
جوفانا أيتها الصغيرة الحلوة ، أنا أشعر بكل ما يحيط بي ، و أحمل أوجاع العالم في صدري ، لكنني رغم كل هذا رجل وحيد جدا ، لا يحرّك سَاكِنًا ، يكتبُ فقط ، و يحلم بالانفجار ، و لكن هل تعلمين شيئا ؟
هل تعلمين أن أكثر ما أخشاه هو الإنفجار داخلك ؟
ربما أنا أبحث عن هذا في سِرِّي و لكن الأمر قد يؤذيك بحدّة ، أنا لستُ سهلاً بهذه الطريقة ،
إذا صمتتُ فقد أُحْيِي غيري داخلك ، و إذا إنفجرتُ فقد أُوجع تجاعيد إبتسامتك الجميلة تلك ،
أنا ثوريٌّ جدا لكنني أخشى أن أتعامل معك كثورة كاذبة ،

أنا فلسفيّ جدا لكنني أخشى أن أتعامل معك كأُطروحةٍ عدَمِيّةٍ ،
أنا إشتراكِيٌّ حتى النُّخاع و أخشى أن أعاملك كَوطنٍ يُرْسَمُ ثانيةً
أنا أفكّر كثيرا عزيزتي ، و كم أتمنى أن أعاملك كفِكْرة ، لأن الفكرة لا تموت ، وأنتِ فكرتِي المفضّلة .

أخبريني يا جوفانا كيف وجدتكِ أنت بينما كنتُ أبحث عن نفسي ؟
و كيف تسألينني عن حلمي و كيف يسأل المرءُ سؤالًا هو إجابتهُ ؟

أنا خائفٌ من نفسي ، هل تعلمين لماذا ؟
لأن قلبي يهدأ كلما أراك ، و ذراعي تستريح من التّأهُبِ ، و روحي تطمئنُّ ،
إنّ هذا الاطمئنان غير بريء ، أنا أُقسمُ لك أن من

ورائه خدعة مَا ، لدي الخبرة الكافية في مثل هذه الأمور ، و لدي ما يكفي لأُجهِّزَ نعشًا للأحلام السّابقة ، إنّ أسوأ ما يقوم به المرء تجاه ذاته هو جمع الأحلام و رميها في مراحيض النسيان .

سيدتي الأولى ، أنا أعيش بِفَوْرَةِ الغضبِ الذي ورثته عن غِبْطتي و عن غير قصد ،
لقد بحثتُ مطوّلًا عن نفسي وهناك آخرون كذلك بحثوا عني كثيرا و لكن كل محاولات العثور عليّ باءت بالفشل ،
على الأغلب أنا مجرّد اشاعة !
أو كذبة !
فهَلَّا إستطعْتِ دحْضَ هذا الكلام ؟
هل يمكنكِ إيجادي ؟
أو حتى محاولة البحث عنّي ؟

و أنا أعِدُك أن أكون بإنتظارك ، لا مطوّلًا و لا على عَجَلٍ ، على أنْقاضِ الحروب ، و تحت الرُّكام ، و فوق السحاب...

هل ترَيْن هذا العجز في أسْطُري ؟

أنا دفِينُ كلِمَاتي ، و عَدُوُّهَا الأوْحَد ، و سَاعِدُهَا إذَا ما اسْتَقَرَّت هنا .

صدّقيني أنا لا أريد منك شيئا ، و لا أطلب منك شيئا غير مجالٍ صغيرٍ لكيْ أرْسُمكِ بطريقتي ،

و لا أُنَاشِدُ غيْر عيْنٍ واحدةٍ منكِ للنَّظَرِ لكلّ هذه الأمور بطريقتي ،

و الحب بطريقتي ،

و اليأس بطريقتي ،

و الجمال بطريقتك أنت ، فأنا أشهد أن لا امرأةً رَصَّتْ على مِعْصَمِي بِيَدٍ تشبه يدكِ ،

و أشهدُ أنّ لا امرأةً أرْجفتْ خِصْلاتِ شيْبِي بصوْتٍ يشبه صوتك ،

و أشهدُ أنَّ لا امرأةً عانقتني بلهفةٍ تشبه لهفتك ،

و أشهد أنّ لا عيونًا تنيرُ شوارع غُربتِي كعيونك أنت ،
و أشهد أنّ لا امرأةً ، غيركِ أنتِ
و لكن يا عزيزتي ، لكن ...
هذا الاستدراك يقتلني ، لا أدري من أين تأتيني هذه السّوداويّة !
ألَنْ يكون من العدل أن أمدّك بشيء واضحٍ ؟
و شعورٍ لا استدراكَ فيه ؟
و صدرٍ لا ندوبَ فيه ؟

فإنّ لدى الفرح موْقفٌ مِنِّي لا رجعة فيه و لا أسف ، فكُلَّما حلّ المساء يفتحني الليل كجرح ، ثم ينام على عمقه ، و كلما حل الصباح يرحل بطمأنينة ، كأنّه يدرك ثباتي في ذات المكان ، أظن أنّ الليل يقول في سره أنه إذا غاب عنّي ألف عام ثم عاد لوجد ذات الجرح ينتظره ...
و هذا أمر سخيفْ ، سخيفٌ جدًّا .
أنت لا تدركين حجم الورطة التي أنا فيها ، أنا عالقٌ

في أفكار مسمومة جدا لا أستطيع حتى أن أخرجها الى العالم و لا أن أتحدّث عنها حتى إليك ، أنا أتحدث فقط لأثبتَ وجود كائنٍ ما على سطح هذه الأرض ، و أصرُخ لكي أثبت إنسانيّتي ،

أُقسِمُ لكِ أنّي إنسان ، و أبحث فيك عن إنسان ، يفكّرُ و يشعُرُ و لا شيء غير هذا .

لكنني يا عزيزتي أخاف أن أنخدع فيك !

أخاف أن نشعر معًا و أفكّر وحدي ،

و أخاف أن نفكّر معًا و أشعر وحدي ،

و أخاف أن لا نفكّر و أن لا نشعُر دفعةً واحدةْ !

لأني مصاب بلهفة كبرى إلى الأمان الفكري ،

صحيحٌ أن روحك هي الأجمل حتى هذه اللحظة و لكن ماذا عن عقلك ؟

هل يقدر على التحدّي ؟

و أن يكبر بي ؟

و أن يغذّيني ؟

أنا متفائل بك جدا و لكن هذا الهاجس يأكلني

، و هذا التّوافق الروحي الذي يربطنا يُذِيبُ خلايَا المنطق في ذهني ، أنا أحبك من جديدْ ، أنا أحبك من بعيدْ ...

أيّتُها المارّةُ بين الكلمات العابرة ، احمليني على قوارِبَكِ و انْصَرِفي ، و لكن إنصرفي بي ، و لا تترُكيني على العتبات ، لقد مللتُ الغربة و العتبات.
احمليني إلى محطّاتٍ بعيدة ، و اسأليني عن شقائي دون أن تتعمَّقي ، أخاف أن تتعمَّقي ، و أخاف عليكِ من نفسي ، لأن الشقاء مهنتي و الحرب ليست مهنتك ،
ففي هذا الصباح تركتُ أمّي تلعن الفقر و الدنيا و تبكي ،
و بكيْتُ لأنها تبكي ، لوحدي بكيْت ،
و تقول أمي أن الشقاء مكتوبٌ علينا في أبواب بيوتنا ،
و أقول لها أن الشقاء مكتوب علينا في أبواب بيوتنا ،
وبيوتنا كقلوبنا مفتوحةُ الأبواب ، و الفقر يسرق

جوعنا و سُبَابَنَا ...،
أقول لك هذا الكلام لتُدْرِكي جيدًا من أنت في كل هذا الخراب ، و لكي أسأل نفسي كيف أكتب عنك رغم الفقر ورغم اللّعنةِ و رغمًا عنِّي ؟
فمَنْ قال إني أريد الكتابة عنك ؟
و من قال أني أريد الغرق فيك ؟
أنا لا أريد سوى أن تُعيديني إلى جسدي لتهدأ لحظةً خلايَا الملحِ في المجاز العاطفيِّ ،
جوفانا أعيديني إلى جسدي ،
أعيدي إتِّزانَ الرّوحِ إلى الرُّوحْ ،
لقد بعثرتِ عُزْلَةَ الغاباتِ في ليْلِي
و قطعتِ مسافة الإيقاعِ في تناسقِ الكلماتْ
و وَعَدْتِ حُلُمِي بالنّهاياتِ البعيدةْ
و قطعتِ وعدًا للجنون
أمَّا أنا فلَقَدْ أضعتُ نفسي في هذا الكتاب ، في أي سطرٍ كانتْ ؟
في أيِّ سطرٍ حتّى أُغَلِّفَهَا بالنِّسْيان و أمضِي إلى أيّ

مكانٍ يَسَعُنِي وحدي ، دون دُيُونٍ تذكر ، دون كلام...
و لكن الرحيل صعب العواقبِ ، فهلْ أبقى لِكيْ نرى
ماذا تُخلِّفُ مِنَّا العواصفُ؟
أم أرحلُ مَادَامَ لِي ذَاكِرَةٌ و قلْبٌ ؟
هل أقترب لكي نُوَاكِبَ دفترًا من خبايا الفجر في عينيك
؟
أم أهرب قبل سقوطِ الحواجز داخلنا ؟
و إنْ هربتُ فهلْ سأنساك بعد الشتاء ؟
وخوْفِي على نفسي ، و خوفي عليك منه ، فهذا الشتاء يا
جوفانا طويل جدًّا ، و مفاجئٌ جدًّا ،
فقدْ يُباغِتنا بالإنتهاء في أيّةِ لحظةٍ ، و قد يطول إلى
الأبدْ ،
و إذَا طال فإني أخاف أن أخبرك أن الجميع خذلني ، و
أخاف أن تخذليني قبل أن أخبرك،
و إذَا خذلتني فإني أخاف الخسارة ولا أستطيع لقائها
وجهًا لوجه،
و إذا خسرتُ فقدْ أُنْفَى ،

و إذَا نُفِيتُ فلنْ أكتب مرّةً أخرى ، فمَنْ سيقول شِعْرًا في مديحِ حدائقِ المَنْفَى؟

هل تُدركِينَ المعنى يا جوفانا ؟
رُبّمَا لا ، و لا أنا مدركٌ تمامًا ، لكنّ لِي حِكْمتي من كلِّ هذا ، و لكِ الكلام النّادرُ في بَعْثِهِ ،
ها أنا أبعثُ إليك قُبْلَةً مَوْقُوتَةً قد ينفجر منها الجبل الذي جهَّزْتُه لوداعكِ من قِمّةٍ عَرْجَاءَ مَنْسيّة ،
سوف أُوَدِّعُكِ طويلًا ثم أستقبلكِ من قرية منسية اخرى ، شوارعها بِلَا أسماءْ ، سُكَّانُها من لحْمِنا ، و دماءها من مِلْحِنا ، و بُيوتها من خِصْرِكِ المُمْتدِّ من أعلى جبالِ الشّامِ إلى أسفل فِرْدَوسٍ في الأرض،
و سنرقص فيها طويلا جدًا ، سنرقص حتى يصير الرقصُ رقصًا ، و الليلُ ليلٌ ، و يصير بياضُ الجنّةِ رزقًا من عيْنيكِ ، و سوادُ الليلةِ منْ رِئتَيْ ، و سينتهي الكلام كله و سأخلق لك غيره...

و لكن يا عزيزتي أنت ملاك ، لا جرم فيك و لا عبث ، لا أريد من نفسي أن أُوَرِّطَكِ في كل هذا اليأس ، و لا أريد أن أقتادكِ إلى ظلمتي ، و لا أريد أن أسْحَبَك إلى القَاعِ الذي سقطتُ فيه ،

أنا لا أريد أن أجعل منك مادّة للكتابة الفوْضويّة هكذا ،

لأنني إذا جرَرْتُك معي في هذا السيّاق فسوف أتمنّى لك اليأس يا حبيبتي ، لأني أحبك ، و لأن اليائسين هم المبدعون ،

لأنهم هُمْ مَنْ يصنعون أيّامَ غيرهم ، و أنا أريد منك صناعة أيامي

لأنهم هم الثائرون ، و أنا أريد منك أن تُشعلي الثورة في داخلي

لأن اليائسين هم من يصنعون المجد ، و أنا أريدك مجدي .

و لكن يا حبيبتي الحلوة في النهاية ستنتهي الأيام ، و يتعب الثائر ، و تموت الثورة ، و تسقط الأمجاد ،

فهل سترضيك كل هذه الأوهام ؟
من ناحِيَتي أنا لا أتمنى لك كل هذا ، أحاول في كل مرة تحْيِيدَكِ عن أفكاري ، لكن المشكلة أنني كلما أخْفَيْتُكِ طلعتِ لي من الخفاء،
و كلّما غيَّبْتُكِ خرجتِ إليَّ من الغياب،
و كلّما ثَبتَ غيرك في مكانك أصابه الجنون،
أُقْسم لك ، أنني أخشى عليك من هذه الأفكار ، فأنا لستُ طبيعيًّا بالشّكل الذي يجعلك تطمئنين كثيرا ، لست سيئا و لكنني أتألم كثيرا ، لقد خيّب العالم آمالي ، لقد باعُوني كَكِتَابٍ يُطْبَعُ ثَانِيَةً...

في هذا اليوم يا جوفانا طرقتُ الباب لخمس دقائق دون إنقطاع حتى إحمرَّتْ عظام يدي ، ثم تذكّرتُ أنّ هذا الباب بابُ بيتي و أنّ بيُوتنا بلا أقْفال ، سخرتُ من نفسي ثم دخلتُ و يداي دونَمَا وردٍ و وجهي دونما بَسْمَة ، فقد وزَّعْتُ إبتساماتي على البؤساءِ منذُ الصُّبْح ،

دخلتُ بيتي و مِنْ دون السؤال عن أحوالي سألتُ نفسي «هل في البيت سِوَايْ؟»

أسرعت خطاي من الباب حتى غرفتي ، فهي الوحيدة التي صُنعت لوحدتي وحدي ، بسرير واحد ، و كرسيٍّ واحد ، و وِسادة واحدة ،

ثم إنتبهتُ إلى حُلُمَيْنِ فوق وسادتي ، أحدهما يُقَبِّلُ ثغْرَكِ ، و الثّاني يُودِّعُكِ ،

قلتُ في نفسي حتى وإنْ ودّعتكِ فلنْ أودّع غير نفسي .

صدقيني أنت بيتي ، أنت وطني ، أنت سماء أرض وتراب ،

فإنْ كنتِ يا حبيبتي خمرةً فإني أحبك حتى الثُّمالة ، وإن كنتِ يا حبيبتي زوْرقًا فإني أحبك حتى الغرق ، وإن كنتِ يا حبيبتي وردةً فإني أحبك حتى الذُّبُول ، و إن كنتِ يا حبيبتي مرآتي فسوف أكْسِرُهَا ، و هذا ما أخشاه منِّي ، هذا ما أخشاه عليك...

انت يا جوفانا فرصتي الأخيرة للإنبثاق من العَدَمْ ، و لكنني مدركٌ أن الفرصة الأخيرة غالبا ما تموت أو تقتُلُ صاحبها ، فهل أُقامِرُ بفرصتي أم بنفسي ؟
أجِيبِينِي بِحَقِّ السّحرِ في عينيك !
أجيبيني بحق إنحباس شهيقك هذا !
بحق تنفُّسكِ السّريع ! بحقِّكِ !

أنا يا جوفانا ...وماذا أقول عني أنا ؟
إن مسألة تعريفي هي أصعب ما واجهته في حياتي ، قد أكتب آلاف الكتب دون صعوبات ، و لكن ما إن يسألني أحد عني فإني أعجز عن التعبير أو الكتابة .

إذا سألني أحدهم عني يصيبني خجل و جهل ، أنا حقا أجهل نفسي ، فما أعرفه عني هو أنني شخص يتخبط في حفرة من صنع يديه ، و يركض في مخيلة من نتاج أفكاره ، و يهرب من ذكريات يتعمد تذكرها ، و يناشد النسيان و لا ينسى ،

و ينشر الضحكات و لا يضحك ، لكنه يتظاهر لكي يتحاشى إنتباه الآخرين لبؤسه وأسئلة العالم اللقيطة.

أنا لا أنسى الفرح، لكنني لا أتذكر كم مرة جاءني فلعليّ لم أفرح أبدا !

أنا سيدتي أنا رجل يقتله الوعي ، ففي بعض الأزمنة و حين يكون الوقت في غير وقته ، وحين يكون الظّرفُ في غير ظرْفِهِ و ينتشر العمى ، لا يكون العمى شيئا مرعبًا بقدر الرعب الذي يأتي من كوْنِكَ الوحيد الذي يرى .

و في وقتٍ لا يشعُرُ الإنسان فيه ، يكون المرعب أن تشْعُر .

وفي وقتٍ ينهش فيه الفقر ظلوع الأرض يكون المرعب أن تَثْرَى .

أما أنا فَلَا عَفْشَ لي إلّا الهوامش ، لا جُرْمَ فيَّ غير الوطن ، و لا لون لي سوى ما تلوّن به الليل.

جوفانا يا ليلةَ عُرْسِي ، البارحة تأخّر الليل قليلًا ، و كان الغروب أشدُّ ثباتًا ، و الوقت كان لا يأبهُ كالعادة ، فمنذ متى ينتظرنا الوقت ؟

توجهتُ إلى أسوأ حاناتِ الليل وقُلتُ لعلِيّ أسبقه ، و بالفعل دخلتُ قبله ، و كان النادل يتحدّث عن إرتفاعٍ في أسعار الخمرة ، وخوفًا من أسعار الخمرة لم أطلب شيئا ، كنت أستمع فقط إلى ألحان الشرقيّين و صوت أوطانهم وتركتُ النّادل يتحدّث وحده ، ثم سألني هل أتكلّم ؟

أشرت برأسي إيماءْ ،

ثم سألني هل أعتبر حالي إنسانا بتجاهله ؟

فتكلّمت ، وأخبرته أني أخجل من حالي ، منه ، و من ضجري .

و طلبتُ منه الصّمت لخمس دقائق حتى تَعِجَّ الحانة بالأصوات ،
كان المطلوب فقط خمس دقائق لأدخل إنسانا و أخرج لا شيءَ من الإنسانيّة فِيَّ سِوَى النّسيان.
لكنه لم يصمت ، فطلبتُ خمرًا ،
لكنه لم يصمت بعدْ ، سألني مَنْ أكون فأخبرته أني لست أكثر من نبيذٍ يُقْرَعُ على الطاولة ، يُثير الضّجيج و يُنْسَى .
ضَحِكَ النادل من قوْلي ، المجنون ظنَّ بأنّي مجنون...
كان الخمر يا عزيزتي يغذّي خلايا الإنسانية في لحمي و كنت أحُكُّ لحمي من حين لآخر لأني لم أتعوّد عنها .
دخلَ إثنيْن بعد ذلك ، كانَا يبدوان عشيقيْن ، وكان هو جريحًا جدًّا ، لا يستطيع قول شيء لها
و كانت هي ملائكيّةً جدًا ، لا تفكّر في مصيره ،لا تفكّر في القيامة
كان هو عاطفيًّا إلى حدِّ البكاء على ساعديْها
و كانت هي نرجسيّةً مثل الحمامة

كانت هي لا تطير مثل الحمامة
وكان هو خائفًا لا يريد ترذيل الأمل
وكانت هي عناوين روح الحلم
هي كالحلم
كان يراها دواوين حب تقاضي ارتجافًا لقلبِ المُحِبِّ
يقول لماذا أراكِ حبيبه ؟
يقول لماذا أراكِ رهيبه ؟
يقول لماذا ؟
أمّا هي ! هي لا تعلم كل هذا
هو لا يريد غير البقاء ، يخاف عليها
هي لا تجيد البكاء ، تنظر في المرآة إليها
هي غجريّة ، أو سماويّة ، سلامٌ عليها
سلامٌ عليها
هو يسأل ذاته ما الذي ورّطه في حروب عينيها ؟
و يقرّر أخيرًا أن يسألها
هي تتمشّى نحو البعيدِ و بين الجبال
هو يلْحَقُ صوْبَ التّلال

كانت تراه بعيدًا
و كان يلوّح بيديْه ، و يبدُو وحيدًا
ثم سألها «لماذا تركت الحلم شريدا ؟»
....

كان المشهد عاطفيا أو خياليّا كثيرا ، و كان عطرٌ مَا يُقاضِينِي على غَفْلَتي ، كأنّني أعرفه !
عطرك أنت ، رفعت رأسي حتى رأيتك في سقف الحانة ، لا تشبهين البشر ، و عيونك خضراء مثل البحر رغم أن البحر لونه أزرق !
هذا ما قالته الخمرة حينها ...،
رأيتك ورأيت وطني ، ثم خَاطَبْتُكُمَا مَعًا وقلتُ بأني أُشْبِهُ اِنْسَانًا ظَلَّ يُحَارِبُ وحده حتى صار بلا مأوى ، وأخبرتكما أنّ خرابًا ما سيَعُمُّ ليأكل كلّ المرفوضين ، و أقسمتُ لكُمَا أنّي إنسانٌ يَزْخَرُ بالنّعناعِ و يُسْرع حتّى يجني الأحزان ، وبكيت لأنّ أحدكما كَوَى خَاطِرِي حتى ذابَ الصَّمْغُ على الأشجار... تكلّمتُ مثل ربيعٍ

جفّت فيه الأنهار ثم عُدْتُ لذِكْرِ قضيّتنا !

فإنّي أحبّك رغم الخاطر و الأوطان .

و ها أنا أخبرك أنك أجنحتي لتعلمينني كيف يطير الحر مع الأحرار.

كانت حَانَتُنَا أصغر من حلمي ، و كل الذين دخلوها مع الحزن غادروها أكثر حزنًا ، أردْتُ أنْ أنسى أوجاعي بأوجاعِ غيري ، رفعتُ رأسي إلى سقف الحانة ثانيةً فلم أَجِدْكِ ، ولم يكن رحيلك لائقًا ،

أ معقولٌ يا سيدتي أن ترحلي دون وداعْ ؟

وأنْ تتركيني وسط وحوشِ الحاناتِ و بطْش الليل المتأخّر !

البارحة كان الأسوأ ، فلا الليل كان ليلًا و لا النجوم كثيرة ، لكنني حاورت نفسي باتّزانٍ وقلتُ أنّ الوحدة أفضل ، هيّأتُ انتظاراتي لغيابكِ الطويل جيدا.

ولكن يا حبيبتي بعد أن علّمتِني كيف أحبُّ حضورك كان عليك أن تعلمينني كيف أتعوّدُ على غيابك ،

فالظّاهرُ أنّني شخصٌ لا يتعوّد...

هل تعلمين يا جوفانا أن أسوأ ما قد يعيشه المرءُ هو التّعود؟

لأنه و ببساطة يقتل الرغبة في الحياة و يجعل منّا رُوبُوتَات خاضعة لواقعها و لا هدف لها سوى الأكل و الشرب و النوم ، ولكن هل خُلِقَ الإنسان لهكذا أهداف؟

آهٍ من أسفي على الإنسان ، إنّ أبشع مظالم الحياة أن النّشوة الجنسيّة تدُوم سبْع ثوانٍ فقط لكنّ الضحية تعيش أطْول من ذلك بكثير!

أنا أراهُم جميعًا ، و كيف لا أراهُم وكلّ هذا البُؤس ينبعث من وجوههم و أحوالهم و أوطانهم!

لقد تغيرت الدنيا يا عزيزتي ، وانتشر اليأس في كل أصقاع الكون، و بردت القلوب، و ابتذلت الأدمغة ، و بزغت شمس المظاهر و المادة، و هدأت الأغاني المشرقية ...

وسط كل هذا الخراب يا عزيزتي أنا لا أطلب منك سوى أن تعلميني كيف أعيش في هذا الزمن الذي لم

يتنفس فيه طِينُ الحزنِ منذ سِنِينْ.
و لا أطلب من الدنيا سوى هُدْنَة ، ولا أطلب من نفسي غير سلاحٍ وحُدُودٍ داخل رأسي...
أعذريني ، أنا لا أستطيع تبسيط الأمور ، يجب عليها أن تخرج بهذا الشكل وإلا فسوف تصيبني لعنة من الجنون ،
فهل أنتظرك سيدتي ؟
لأنّ الأغاني هزمتني ، و أخاف أن أحيى كثيرا فأَفْقِدَ رغْبَتِي في الإنتظار.
فهل أنتظرك أم يضيع كِلَيْنَا ونتّفق مع الأماكن على عدم الوصول ؟
أمْ نَتُوه في غفلةٍ من الدنيا و نُجْبِرَ الحب للخروج والبحث عنَّا ؟
أيُّ الخِيارَاتِ يُرضيك !
ففي الحقيقة أنا أتمنّى منك أن تهربي قبل إنسداد نافذة الهروب ، فقط تُرعبني فكرةُ أنّ يمُرُّ أحدهم على هذه الكلمات دونَ أنْ يبكي أو دون أن يستوْقِفَ

ذاته ولو لِلَحظات ،
لحظاتٌ قليلةٌ كفيلة بأنْ تُوقظ فيه روحه و أن تذكّره بأنه إنسان .
فبينما أنا وحيد في هذه اللحظات أكتب عن أشياء لا أدركها ، لا أتمسّكُ بشيء من هذا العالم إلا بروحك أنت ،و بكل إنسان داخِلنَا لأنّ هذا العالم لا يزال حَيَوَانِيًّا بإمتياز ، ولا يزال الشرّ و الغباء أبرز عناوينه .
لا أدري ما هي تركيبتي و لكن يقتلني أنّ إنسانًا ما على سطح هذه الأرض لا يدرك المعنى من حياته و يسير إلى نهايته بكل فراغ و كل سرور .
أنا حقا لا أريد أن أكون وحدي في هذه الفكرة ، أريد أن أتقاسم كل هذا الحزن مع شخص ما ، قد يكون هذا الشخص هو أنت ،
و لكنني لا أريد أن ألمس وجْنَتَيْكِ لأمسح دموعًا أنا من صنعتُها ،
و لا أريد أن يمسَّكِ أيُّ ذنبٍ من ذنوبي،
أنا حقًّا أريد منك المحاربة معي ولكنني لا أريد أن

أرهقك .

فهذه العبثية أصعب من مخيّلتي و لا أدري إلى أيّ مكانٍ تأخذني ، فقط في لحظةِ ضُعْفٍ وإشتياقٍ أقول لك جمِّعيني ، و اركبي فرسًا عنيدًا لا يعود إلى الوراء ، جمِّعيني و اركبي فرسًا قويًّا لا يموت في الصحراء ،و كُوني غدًا و زمنًا جديدا ،و بعيدا، كميلاد شعب مع سكرات أوّلِ الأنبياء.

ثم تمُرُّ لحظةُ الضّعف تلك والنادل يطفئ ضوء الحانة ثم يشعله باستمرار حتى فهمتُ أنّه يطردني بلباقةٍ ، فأعود من الحانة إلى بيتي والمسافة بينهما عُمرٌ و قَافِيَةٌ ضائعيْن ،

إنه الطّريق الأصعب حيث لا مفرّ من الليل فوقه ، ولا مفرّ من الأحلام تحت خُطَايْ ، ادعسُها كلّها وبكلّ ما أُوتِيتُ من قوّةٍ ، فلعليّ أنتقم لطفولتي ولعلّ الحياة تحيطني بطريقة مغايرة عن سابقاتها ، لكن الظّاهر أن كل محاولات الحياة في ترْوِيضي بَاءَتْ بالفشل ، أنا لا أُحَرِّكُ لها ولا إصبعًا واحدًا .

أدخل البيت لكيْ ألاحظ تَبَعْثُرَ الأشياء ، هَاهُنَا حُلُمٌ عند الباب صَدِأً مِنَ الإنتظار ، وها هنا طفولةٌ في المَمَرِّ تَلْعَنُنِي ، وهناك على أقصى اليمين صنْدَلٌ مهترئٌ من ميراث والدِي ، و على الشّمالِ كرسيٌّ أَعْزَلٌ لا يمتطيه أحدٌ من سِنِينْ .

ثم أدخل غرفتي بعَشرِ مَخَاوِف وعَشْرِ خُطُوَاتٍ مُتَرَدِّدَة ، إنّه المكان الأكثرُ رُعْبًا و أَمَانًا بالنّسبة إليّ ، بسريرٍ خشباتُه هَشَّةٌ للغاية ، ومكتبٌ تَرْأَسُهُ وَرَقَةٌ مَرْسُومٌ عليْها وطنٌ بِخَطِّ اليَدْ .

بعد ذلك أنقُلُ الورقة والوطن من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار و أغيِّر اتّجاه السّرير منَ الرّأس حتى أَخْمَصِ القَدَمَيْن إلى أخْمَصِ القدميْن حتّى الرّأس لأنني أرفض الإعتياد على أي شيء ، ولو كان شَرْبَةَ ماء ،ولوْ كان أنتِ يا عزيزتي

أنا أرفُضُهُ رفضًا قطْعِيًّا لأنّه الطريق المباشر نحو البرود ، و الثبات الذي يحوّلنا إلى صخورٍ لا تميل و لا تَلِينْ.

لذلك أنا لا أريد التّعودَ عليك ، لأنّي أحبك ،

وأنا أحبك لأنك أنت ،
و أنت أنت لا شيءَ غيرك ، لا تُسْتَبْدَلِين و لا يغيب عِطْرُكِ عنْ أرْجائي.

آهٍ منْكِ يا جوفانا ، أَ مَا من طريقةٍ أسْهَلَ للحب؟
أ مَا من تفاصيل أقَلُّ دِقَّةً تجعلني أغيّر نظرتي هذه؟
إن التفاصيل تقتُل إسْتقرارَ عوَاطِفي ، ولهذا السّبب سيكون الغَرَقُ فيك فِكْرَةً سَيِّئَة ، لأنه لَظُلْمٌ شديد أنْ أجْعلَكِ تعيشين مَصِيري أنا ، و تتوجعين بآلامي أنا ، و ترهقين بتفكيري أنا ،
و إنه لَظُلمٌ أشَدُّ منه أن أحبّك من مسافات بعيدة ، و أن أُقَبِّلَكِ فقط في مخيّلتي ،
فَاللّيْلة نِمْتُ ، و حَلمتُ بأنِّي أنَامُ ، و فرِحْتُ بنوْمي ، لكنّ حُلُمًا مَا أيْقضَني على لهْفَتِهِ .
يقولُ الحُلُمُ أنَّك معي في هذه اللحظات ، و أنّني أبتسم للحياة ،و أحارب بِك الدّنيا ، و أهزِمُها...
فهلْ في الحلمِ أحلامُ ؟

وهل يُرْضِيك أنَّ الليل يرفُضُني و أرْفُضُهُ ؟
وهل من قُبْلَةٍ أُولَى لنا تُغَيِّرُ فِينَا الخَرَائِطَ و تُعِيدُ
ترتيبَ الدُّوَلْ ؟
و هل مِنْ دوْلةٍ تَتَّسِعُ لعيْنَيْكِ المَجَازِيَّتَيْن ؟
أنا أهْذِي ...، و هذا الهَذَيانُ يقتلني
أنا أَحْنُو على طُرُقَاتِكِ أُحَيِّي الكل ،و الكلُّ يُحَيِّيني
و إنِّي لَصَانِعٌ لِصُورَتِكِ و إنّي لَعَاجِزٌ فَفُكِّينِي
و إنّي لَأَشْعُرُ بالبَرْدِ فَغَطِّينِي...

بعد ذلك أطفئ الأضواء والليل ، ما زالتْ في جُعْبَتِي
سيجارةٌ واحدةٌ ورِئتَيْن إثْنتيْن ،
و ما الذي لمْ يحترق بعدْ!
حَشَوْتُ فيها العالمَ كُلَّهُ وأشعلتُها بطريقةٍ أُنْثَوِيَّةٍ ، ثمّ
سَحَبْتُ العالَمَ دُفْعَةً واحِدَة ، هوَ الآنَ في صدري ، و
يسألني هل أنا أكتبُ ما يستحقُّ القراءة ؟
فأجبْتُهُ أنّني أكتبُ لامرأةٍ تَحُطُّ على كتفي دون خوفٍ
و دون رَهْبَة ، ودون استِشارَة.

قلتُ أنّني أكتب لجوفانا ولا أكتب للعالم و أنَّكِ إذا تذكّرتني أنتِ فَلَا يَهُمُّنِي إنْ نَسِيَنِي الجمِيع.

هنِيئًا يا عزيزتي، لقد كنتُ أنا أعْتَى انتصاراتك ، وكنتِ أنتِ أجْمَلَ هَزَائِمِي ،

لقد أرهقني صوتك في بيتي ، تتكلّمين من فوق السّقف و من خلف الجُدران ، يبدو أنّني لن أتعافى بهذه الطريقة ،

فهل تملكين دواءً لكلِّ هذه الآلام في رأسي؟

إذا كنتِ لا تملكين فَاهْرُبِي سريعًا جِدًّا ، قبل أن تَلْتَحِفَكِ نِيرَانُ سُمُومِي ،وقبل أن تَكْسُوكِ أَلْوَاني المُظلِمة ،

فإنْ كان حضورك يُغرِيني فإنَّ ضحكاتك تغريني أكثر، وإنْ كان لي شغف بتقبيل عينيك فإنَّ شغفي بابتسامَتِهِمَا يُغْوِينِي أكثر،

ففي الوقت الذي كان فيه الكوْنُ صَاخِبًا كنتُ أرى فيك هدوءَ الكَوْنِ يا حُلْوَة.

فإنْ كان هروبك سيُنقِذُكِ مِنْ كلِّ هذا الخراب فسوْف

أساعِدُكِ في فِعْلِ ذلك ، لأنّي أحبك بطريقة أخرى ، و بريئةٍ في هذه المَرّة .

ولكن يا جوفانا بِمَنْ سأتغنَّى بعدكِ؟

لِمَنْ سأكتب بعدكِ؟

وأيّ بريدٍ يتَّسِعُ لرسائلي العبثيّة ؟

أرجوك اِطْلعِي من دماغي لَحْظَةً ، وكُفِّي عن كوْنِكِ فرصتي الأخيرة ، و تَخَلَّيْ عن نرجسيّة الطّبيب ...،

كل هذا لكيْ نرى أيْن تأخذنا الحياة وأيْن ترمينا الهوامش.

وحين يكون الوقت غيْرَ متسرِّعٍ، وتكون الأرض خِصْبَةً بالمياه و بالأغاني، وتكونُ فُرْصتنا واقعيّةً أكثرْ ...، ربّما نلتقي، ربما نلتقي.

و منذ هذا الوقت حتى ذاكْ ، سوف أحبك من مسافاتْ.

حبيبتي جوفانا ، أنا الآن أصارع ذاتي من تعبٍ و من وحدةٍ قاتلة ، و منذ فترة لا بعيدة ولا قريبة بحثتُ عنك مطوّلًا لكنك لم تنتبهي للحريق الذي بداخلي و الذي طلبتُ منكِ سرًّا أن تُخمديه و أن ترْحَمِيه ، لقد إحْتَجْتُ لكِ كثيرًا في آخِرِ الأيّام ، و حاولتُ الوصول إليك بكل الطُّرُقِ اللّقيطة التي تعلّمتُها من الأُخْرَيَات ، لكنّكِ لستِ هنا ، أنت غائبةٌ في هذه اللحظات عن نَاظِرَيْ ، و حاضرةٌ بين أحزاني .

صدّقيني انا لستُ سوْداويًّا الى هذا الحدّ و لكنني مُرهَقٌ جدا ، أكاد أن انفجر ، بل وأتمنّى الإنفجار ، لا أعلم ما هو السبب من وراءِ كل هذا ،

لكنني أحتاجك كثيرا ولا أجِدُكِ !

وأبحث عن صدرك ولا يبدو أنَّ لِي مكانًا فيه!
فماذا عَسَايَ أنْ أفعلَ بِحُبٍّ كهذا ؟
أ مَا كان ينبغي على الحبِّ أنْ يُحاوِل منْ أجْلِنَا بَدَلَ أنْ نُحَاوِلَ مِنْ أجْلِه؟
أنا أسألك يا جوفانا وربما أنت لا تفهمين ما أقول ولكنّ روحك تفهمني ، إنها تُنِيرُ أرْوِقَتِي في هذه اللّحظات ولكن مِنْ دُونِ جَدْوى ، فالظّاهِرُ أنَّني شخصٌ مريضٌ لا يَنْفَعُ للأرواحِ البسيطة و الجميلة.
والظَّاهِرُ أنَّ هذا الغضب الذي يخرُجُ من أعماقِ قَلَمِي لا نهايةَ له ، فأنا غاضبٌ لأنّكِ هاربةٌ منِّي منذ مدّة
ولكن هذا الغضب ليس منك أنت بلْ من نفسي لأننّي لمْ أسْتَطِعْ إخْرَاجَكِ منْ مخيّلتي ،
ففي هذه الليلة يا عزيزتي إتَّخذْتُ قَرَارًا نِهائِيًّا بالتَّشَاوُرِ مع الكِبْرِيَاء ، وهذا القرار هو التخلّي عنك و عن نفسي ، و كِلَاكُمَا سيكونُ مرفوضًا تمامًا منذ هذه الليلة التي تتشكَّلُ فيها النّجوم بتناسق و كأنّها تُوَاعِدُ

بعضها البعض ، قلتُ يكفيني هذا النَّصِيبُ مِنَ الأَلَمْ ، وهذا النصيب من الأمَلْ ،

وقلتُ أن الليلة ستكون ذكرى وكلّما مرّ عام عليها سأُقدِّمُ قَرَابِينَهَا إلى الآلهة ،

وقلتُ أنّك تستحقين ما تَطْلُبِينَ فقط ، لأنّ الإنسان إذا تمنّى شيئًا وجاءَهُ بشكلٍ مغايرٍ ولو كان أفضل مِمَّا تمنّى ، فسوف لن يُعجبه ،

هذا لأن الإنسان إعتاد على كلّ ما هو كلاسيكي ،

إننّا و كَصِنْفٍ بَائِخٍ من الكائنات لا نريد غير الأشياء المُستهلَكة ، والأشخاص المُنتهية صلاحيّتُهُمْ ، وكلُّ هذا لكيْ نفرض أنفسنا عليهم ولكي نقود، نحن نحبّ القيادة فقط ولوْ كان ما نقوده مُجرَّد خُرْدَة.

ولكن مشكلتي الأساسيّة يا حبيبتي أنني لا أرضخ لمثل هذه الأمور والعادات ، ولا أُحَبِّذُ النُّسَخْ البشريّة التي تتكرَّر دائمًا و باستمرار ، و لا يُغريني الحبّ المُبتذل ، إن للحب أساليبٌ عديدة لا يُغويني منها إلا ذلك النَّوْع الجنوني منه ، ولطالما اُتِيحَتْ لِي فُرَصٌ نبيلةٌ

للحب لكنني أهرب في كلِّ مرّةٍ ، لا لشيءٍ بلْ لأنني رافضٌ للإنصِيَاع إلى القطيع الذي يُردِّدُ نَفْسَ الأفعال و الأقوال ،
ولكن تمعَّني جيّدا و انظري إلى أيّ مكان قادَتْنِي أفكاري المسمومة هذه؟
تمعّني كيف أنا وحدي في هذه الغرفة اللئيمة التي لم يتغير شيء فيها منذ ولادتي القيْصريّة .
أريد أن أصرخ يا عزيزتي ، فبعد أن بكيت بكلِّ لُغَاتِ العالم ما عاد للبكاء حروف يُضيفُها ولا دوائر على محيطِ عيني ، وما عاد للتبغ دافِعٌ غير الحِقْدِ على الذّات.
أنا أعلم أن كل ما أقوله عبثيٌّ و غريب وقد لا يُلْهِمُكِ قراءته ،
ولستِ أنت فقط من يُدْرِكُ هذا ، فعلى سبيل المثال فإن بيتي ممتلئ بصُوَرِ المُعسكرات والدبابات ، و من يزورُني لأوّل مرّة يسألني إنْ كنتُ جُندِيًّا ، بينما الحقيقة الوحيدة هي أنني ما زلتُ أعاني من

أخبار حربٍ زهقَتْ كل أرواح الجنود الذين خاضُوها ،ولكنني لم أخُضْها!

ومازلتُ حيًّا هنا ،وحيًّا هناك ، لا الإفراطِ في الحِسِّ قتلني ولا غيابك ، فكَمَا تريْن الآن أنت غائبة وأنا أتنفّس وأتحرّك بكلِّ ما أُوتِيتُ مِنْ حريَّةٍ ،ولكن بفجْوَةٍ عميقةٍ بيني وبين الحياة.

فلا هي أسعفتني ولا أنا اسعفْتُها ،لا شيء يُلهِمُنَا ببعض غيرك ، وهذا كل ما أعنيه بوَصْفِكِ فرصتي الأخيرة في الحياة، أنْ تكوني الوسيط بيننا .

وبعد أن اتّخذتُ هذا القرار مباشرةً فتحتُ نوافذي لامْرَأَةٍ حَطَّتْ على كتفي دون أن تستأذن ، وكأنَّ هذا الكتف مستقرٌّ لها منذ سِنين ، ودون ورْدٍ استقبلتها ،ماعاد في صدري ورود...،

ثم سألتها ما إذا كانت رَسُولًا مِنْ أَحَدْ ؟

فأجابتْ بأنّها مِنْ خَلْفِ أَسْوَارِ المدينة و أنَّ الرّياح جاءتْ بها،

وكانت تلهثُ لا أدري ماذا خَلْفَهَا ، تُغَطِّي زَوْبَعَتيْنِ من البنفسج بين إبطيها بسطح كفيها ،
و قالت بلهفة أو بلَهْثَةٍ :

«»

*هيّا بنا

*إلى أين نذهب بعدمَا هَدَأَ الصّقيع على أصَابِعِنَا ؟

*إلى شُجَيْرات الخريف

*و أيُّ خريفٍ يقْبَلُنَا؟

*ذاك الذي مرَّ بنا بالأمس

*وهل كُنَّا معًا بالأمس ؟ وهل كنتِ هنا؟

*لعلّكَ ! وكأنّني أخطأتُ عنوان الغريب!

*لا ، طبعًا لا ، إذا قصدتِ غريبًا هنا فهو أنا ، هل وَاعَدْتُكِ بالأمس؟

*أجل ، وبكلّ أوجاع الشِّتاء .

*أضِيفِي كَيْ أُصَدِّقَكِ ، ماذا كنتُ أرتدي ؟ ، بِيجَامَةً وردِيَّةً أمْ قمِيصًا أزرقًا؟

*لحظة كِيْ أتأكَّدَ أنّني جِئْتُ بذَاكِرَتِي مَعِي.
*و ماذا بَعْد!
*لقد كنتَ ترتدي ليلًا من الأحلام على كتِفَيْكَ ، و عباءةً بيضاء فوق الرّأس، وكنتَ حافيًا ، اِنَّنِي أتذكَّرُ كَيْفَ كان البرد يُغذِّي أسفل قَدَمَيْك.
*صَدقْتِ ، عباءتي أمي وذاك الليل من نسيج كفَّيْها ، وكنتُ حافيًا مِنْ فقري ، لقد كان لي حذاءٌ بثقبٍ مُرَتَّقٍ لكنني بِعْتُهُ واشتريتُ وردةً احتفاءً بالشتاء ولكنّها ذبُلَتْ سريعًا قَبْلَهُ.
*اذَا صدّقتني فهيّا بنا !
*ولكن إلى أين؟
*البحرُ خلف الباب ، و الصحراءُ خلف البحر ، فهل ما زالتْ عندكَ دعواتٌ للغُرَبَاء؟
*إذَا قصدتِ دعوةً فإنني وزّعتُها كلّها على الجميلات منذ سِنينْ ، أمَّا إذَا قصدتِ دعاءً فإنني وزّعتُهُ كلّه على الفقراء منذ الفجر، أنا فارغٌ منذ الصبّاح.

*وإنّي أتيْتُ لأُكمل ضَجَرَ الظَّهِيرَةِ في نُعَاسِكَ ، وأنْوَارَ سَهْرَتِك ، و ميلاد فجرٍ جديد .
*لا أستطيع .
*و مَنْ يَمْنَعُك؟
*ظِلُّهَا في اللّيل و شَعْرُهَا الدّاكِن على حِبْرِ شِعْرِي.
*و أينَ هي ؟
*خلفَ الصّحراء التي خلفَ البحر الذي خلفَ الباب.
*أ تُشْبِهُنِي أنا إلى هذا الحدّ لكي تُرَدِّدَ مَا أقُول؟
*ليس تمامًا، إنّها مرئيَّةٌ أكثر ، لكنها مثلكِ تغطّي زَوْبَعَتيْنِ بين إبطَيْها .
*وما الفرقُ إنْ كنّا كذلك ؟
*عينيْها ، لا لَوْنَ لَهُمَا ، و أنَا أرى عيناك بكلّ وضوح ، وهذا الشّيءُ سَخِيفٌ جدًّا ، إنّها تَغْلبُكِ بعُيُونِهَا .
*سَأَمْضِي إذًا ، فالشّمس تُشرق في هذه

اللحظات ، يَلَّا صباح الخير.»»

صباحُ الخير يا جوفانا ، جوفانا صباح الخير ، و وجهكِ خيْر، وصوتكِ عند الفجر خيْر ، و صباحكِ مُتَسَارِعُ الخُطُوَاتِ مِثْلَ رسائلٍ قُرِأَتْ عَلَى عَجَلٍ ، و عِطْرُكِ فَاكِهَةٌ لِضَوْءِ الفَجْرِ ، و بَشرَتُكِ بِسَاطٌ من الياسمين ، ولا شيءَ قادرٌ على افْتِكَاكِ هذا الصُّبْحِ مِنْ شَفَتَايَ على شَفَتَيْكِ ،

ولا شيء يقدِر أن يَمَسَّ من سَنَابِلُ شَعْرِكِ الغَجَرِيِّ فوْقَ وِسَادَتِنَا الوحيدة ،

هذا الذي بين أحضاني أنتِ ، أو ظِلُّكِ ، أو مَشْهَدٌ قديمٌ منكِ ...، لا يهمُّ مَادُمْتِ أنتِ مَضْمُونُ الجِوَارِ و مادام الحبُّ يَكْسُونَا مَعًا .

جوفانا حبيبتي ، لو كان لنا غدٌ سيَجْمَعُنَا فسَأكُونُ مُمْتَنًّا للمعجزاتِ على وَجْنَتَيْكِ ،

ولو لم يكن لنا غدٌ سيجمعنا فسوف أجمع ما تبقّى

من رَذَاذِ الخَمْرِ فوق بَريقِ ثَغْرِكِ لكي أُشَكِّلَ نُسخةً منكِ ولو ورقيّةً ، فأنا أخشى غيابكِ و أخْشى وداعكِ و أخشى ضِياعي بعدكِ .

يا حبيبتي بينما أنا أكتب لك في هذه اللحظات يرنُّ هاتفي باستمرار ، تتّصل بي عاهرةٌ لتخبرني بأنني تأخرتُ عن موعدي معها ، و لتخبرني أنَّ البرد أكلها من الإنتظارِ خَارِجًا
لكنني لا أَرُدُّ على إتّصالها ، و أواصل الكتابة عنكِ و أنْزِلُ سطرًا لأكتب أنّي أحبك ،
لا أردُّ على اتّصالِ عاهرتِي المُفضَّلة وهذا يعني أنني فقدتُ الرّغبة في كل شيء ،لكنني نزلت إلى السطر وكتبت أنّي أحبك أنتِ ، وهذا يعني أنّ رغبةً مَا لاتزال في صدري ، نزعةٌ غريبة للحياة، إنّها أنتِ...
أنت أيتها العَصَبيَّةُ جِدًّا وعن غير قَصْدٍ .
فأنا أحبك منذ أيام ولا أعلم متى إبتدأت هذه الأيام

ومتى تنتهي...
وكان من الأجمل أن تكون تركيبة جملتي هذه كالآتي:
«أنا أحبك منذ أيام ولا أعلم متى إبتدأت هذه الأيام
لكنني أعلم أنها لن تنتهي...»
كان ينبغي لها أن تكون هكذا لكنني حقيقةً لا أعلم
شيئا ، أنا لا أستطيع الكذب حينما أكتب لأن كلماتي
كلها ديْنٌ على كتفي.
وأنت دَيْنٌ لا يُرَدُّ بمجرّد كلمات ، فيَا أسطورةَ فَرَحِي
أخْبِريني كيف سداد هذا الدَّيْن؟
ويا أيْقونةَ سهرتي علمِّيني كيف التّجرؤ على الأقدار؟
و كيف لي أن أحب نفسي أو نتقاسم حبي إليك ،
وهذا وفير.

ففي هذه الساعة العالقة بين الليل و الصبح ، وبعد أن أطفأتُ كلّ رسائل العالم ، لا مفرَّ من الكتابة عن جمالكِ منذ صلاة العشاء وحتى صلاة جنازتي ، وإن مِتْتُ قبلكِ إحمليني إلى عينيك و خبِّئيني في طيَّاتِ

صدْرك الحافي ،
وحدّثيني عنكِ أكثر ، فقد لا يكون في الآخرة منفَى ، وقد لا يكون هنا أو هناك منفَى غير غيابكِ عن مخيِّلتي.
ولكن هل تلاحظين كيف أصنع من هذا الغياب مادّةً للقراءةِ أو الحَرْق ؟
ربما أنت في هذه اللحظات لا تلْتمسين سببًا مقنعًا يجعلني أهرب منك لكنني خفت الوقوع بك لأني إذَا ما وقعتُ فإني واقعٌ بكلّ ما أُوتيت من قوّة ،
وخفتُ أنْ أُقَبِّلَكِ فيكونَ حَتْفِي بانتظاري،
وخفتُ أنْ أراقِصَكِ فتَنْتَحِرَ الأغاني ،
وخفتُ أنْ أُبَاغِتَكِ بقوْلَةِ «أحبك» فيغارُ الحب منكِ...
أحبك صَحْ ، و أتلاعبُ بكلّ ما أُوتيت من لُغةٍ لأجلكِ ،و لكن يا عزيزتي صدّقيني هذا كلّه لا يكفي لأجعلك سعيدة ،
فلو كنا معا كنت ستتحدثّين إليّ بينما أقرأ الجرائد ،
ولو قلتِ لي كلاما جميلا كنتُ سأُشَبِّهُكِ بثَوْبِ مدينةٍ

قُصِفَتْ،
ولو سألتني عن آخر إصدارات الموضة كنتُ سأجيبك عن تطوّرات الحرب في سوريا،
ولو حدثتني عن شكل قَصَّتِكِ الجديدة كنتُ سأخبرك عن آخر الأحوال في المستعمرات،
ولو بكَيْتِ لكَسْرِ ظفرك كنتُ سأبكي على آخر شبرٍ عربيٍّ في الضّفة الغربية،
و إذا صارحتني بمشاعِرٍ فسوف اصارحك بإشتراكِيَّتي المتطرفة ، و بشاعة العالم.
و إذا عانقتني فسوف أَلْتَفُّ على فُرُوعِكِ كخُطُوطِ خريطةٍ مُحِيَتْ.

فأنا أمحُو أحلامي بهذه السّاعة ، ثم أسأل نفسي هل أنا كاتبٌ أم قارئٌ في هذه الصّفحات؟
أنا أجهلُ نفسي ، و يتطوَّرُ خوفي كثيرًا حين أفكّرُ في الصُّعلوك الذي ستكونين معه ذات يوم ، فهل هو أجدرُ منّي بكِ ؟

فلو كان مصيركِ في كل الأحوال وغْدًا فلْيَكُنْ أنا
لأنّ اليأس خَيْرٌ من الصَّعْلَكَة
و الحُزْنُ خيرٌ منَ الابْتِذَال
و الجنونُ خيرٌ من الوقائعِ المُهترِئة
أنا حقًّا أرجو منك أن لا تُحبِّي شخصًا واقعيًّا ،
لأنه سيقتُلُ أحلامكِ ، و يسرقُ ضحِكاتِكِ ، و يأخذ
ابتسامتكِ دون عَوْدَة.
و أرجو منك عدم الوقوع في قبضة رجلٌ منطقيٍّ
محدود البرمجيَّة
فإنَّ أسوأ البشرِ هُمْ النّمَطِيُّون
و أسوء أنواع الحب هو النّمطي الرّكيك .
وأنا أعلم أنّ لا أحَدَ يشبهني في هذا العالم ، فهل أصبر
حتى أنساك أم أراهن على نفاذ الصبر ثانية؟
لكنني إذا ما صبرتُ أخافُ أن يهزمني صوتكِ مرَّةً
أُخرى !
و اخافُ ان تمسَّكِ الحياةُ و أنْ يمسّكِ رجل غيري ،
بكَفٍّ غيري ،

و اخافُ ان يلْتَفَّ بِكِ حُضْنٌ غيري،
أخبريني كيف يغار الإنسان على أشياءٍ لا يمْلُكُها ؟
أخاف أن أمْلُكَكِ عزيزتي
وأخاف أن أخْذُلَكِ
وأخاف غيْرتي
و هذا الخوف يقتلني...
فمَنْ أوْرَثَنِي كلّ هذا الخوْف؟

كمْ هو ارتباكي رهيب ، ولكن اعذريني فهذه الأشياء تحصل معي للمرّة الاولى ،
فبعد أن مَللْتُ التّعامل مع الناس على قدر تفكيرهم، وتوقُّع الأقوالِ قبل صُدُورها، والمزاح بحدود مخيّلة الآخرين، والنّجاة من فخِّ القطيع في كل مرّة... أنا حزينٌ لأنني لم استطع جعل شخص واحد يفهمني!
لقد كنت أكذب عليك في كل جواب عن أحوالي ، أنا لست بخير...

وبِتْتُ لا أطْلُبُ غيْرَ شيءٍ ما على هذه الأرض يشبهني.
وأقسمتُ لك بعيونك أن روحك تشبه روحي ،ولكنني عاجزٌ مثل كلماتي، ولم أعُدْ أدرك ما أقول وأكتب ،
فقط أحبك ، وهذا كل شيء....
و هذا الذي أكتبه يجب أن ينتهي سريعًا ، لأنكِ تدخلين بي مرة اخرى الى عصر الجاهلية حيث الكلام وسيلة لا يمارسها البشر.
و إذا كتبتُ لك شِعرًا فإنّ قصائدي ترتد نحوي ، تعوي وترجف ، لكنها لا تتكلم ،
فهل يقتلها البرد ؟
لا أدري ، أنا يقتلني نصف الدفء و نصف غيابك أكثر.
عزيزتي، أن تحب شخصا يعني أن تطلقه حرا، و أنا أطلقك في هذه اللحظات .
أطلقك وأنا أراقب أي طريق ستسلكه روحك من بعد هذا ،
أطلقك و أرى طاقة عظيمة تخرج من أعماقك،

أرجوك لا تضيِّعيها !
فالآن يجب أن تدركي جيدا الهدف من وراء كل هذا ،
وأن تدركي جيدا من أنا ، ومن أنت
ويجب أن تسألين ثم تجيبين عن «نحن ماذا؟».

أمّا بعد ، فأنا حزين مرة أخرى ، ويُشارِفُ معجمي على النفاذ ، لا أدري لماذا تخونني الكلمات والأيام.
ولا أدري لماذا تتعاقب الخيبات على صدري ،
لكن مرحبا بها كلها ، فالصّدر صار يتّسع تقريبا لكل مجازر الدنيا ، ويضيق بي !
هل سبق و ان رأيت يا حبيبتي صدرًا يضيقُ بصاحبه؟
لكنني لا أخجل بلحظات ضعفي ولا أخشاها، بل وأستقبلها بكل جوارحي.
صدِّقيني أنا لا أريد من خلال كل هذا أن أجعل منك شخصا يفكر مثلي و لا هدف لي بتغيِيركِ أبدا ، فلقد

كان خطأي دائما هو محاولة تغيير الأشخاص ، حتى اتّضح لي في نهاية الأمر أن البحث عن الروح التي تشبهني منذ البداية هو الأمر الصحيح .
روحك تشبهني كثيرا ولكن !!!
لا أدري... أنا أُحِبُّكِ بكل أشكال اللغة.

إن عَظَمَةَ النفس البشرية تقاسُ بالقدرة على الإحساس بالعالم ، وهذا الإحساس يتطلّب طاقة إستيعاب ذهنيّة عالية.
فقد تكونين يا عزيزتي جميلة جدا ، وطاهرة جدا ، ونقيّة جدا ، والحقيقة أنكِ بالفعل كذلك ،
هل يوجد ما يطلبه رجل أجمل من هذه الأوصاف؟
هذه هي المشكلة ، إن المشكلة الأساسية التي تجعلني أقنع نفسي دائما بعدم الإقتراب منك هي شَكّي من عجزكِ تقريبا على إستيعاب عقلي المُبَعْثَر ، لا يعني هذا أنني رجل ذو عقل عبقري من الفضاء

، ولكن هذا يعني أنني لا أستطيع التحاور معك لما
يزيد عن ساعة حول أمورٍ تعنيني،
ولا أستطيع أن أحدّثك عن العَرَبِ الخارجين من
الأندلس،
ولا عن الغَجَرِ الداخلين إلى الأندلس
ولا أستطيع أن أحدّثك عن تأثير الهُولُوكُوستْ في
المَشْرِقْ،
ولا عن تأثير المَشْرِقْ في الهُولُوكُوستْ،
و لا أستطيع أن أسألكِ ما إذَا كان عبد الناصر ثَوْرِيًّا أمْ
كَاذِبًا !
ولا أستطيع أن أُجادِلكِ عن علاقة الإلحاد بالاشتراكية،
ولا عن سموم الأب ماركس،
ولا عن جرائم الأتراك في بلادنا،
ولا عن كَوَابِيس الإمبرياليّة الجديدة،
ولا عن نفسي... أنا ألعنُ نفسي ألف مرّةٍ
فَأَنْ أكتبَ هو أمرٌ يثير الرّعب داخلي ، وأنْ لا أكتبَ
هو أمرٌ يثيرُ الرعب داخلي،

لكن الرعب النابع من الفراغ دائما ما يكون أكثر ألماً من ذلك الذي ينبعُ من الجوع.

هذا هو عالمي الذي لا أريده ، بينما يجب علي أن أعيش فيه.

أنا لا أعلم ما إذا كنتِ تملكين هدفا في الحياة ولكن على ما أظن فإن الجميع يمتلكون أهدافا وهذا طبيعي ، لقد تأكدتُ من هذا الأمر حين سمعتُ صديقي الذي يظن أن الوطن هو مجموعة حانات متلاصقة يقول أنه يسعى لتحقيق أهدافه .

ولكنني هنا أتحدث عن الرسالة ، هنالك فرق عميق بين الذي يمتلك أهدافا و بين الذي يمتلك رسالة.

إنّ الأهداف تأخذنا إلى نقاط مدروسة واضحة النتائج بينما الرسائل تأخذنا إلى محطات مجهولة.

إن الرسالة يا عزيزتي عبء على الروح ، و وزن هائل فوق الصدر ، لا يمكننا التّخلص منه سوى عن طريق

الجنون .
ويمكن للرسالة أن تكون إدراكًا بما يدور حولنا ، فيقتُلنا الإدراك .
ويمكن أن تكون كذلك عبثيّةً في الحياة ، فتقتُلنا العبثيّة ،
وفي جميع الأحوال تكون النهايات إمّا تعيسة و إمّا مفاجئة ، هل ترَيْنَ كيف هي الحياة تُبْنَى على السّوداويّة فقط ؟
هل يمكنكِ إقناعي بغير هذا ؟
أنا لستُ بائِسًا ولكنني أَدخلُ المستنقع الطبيعي للحياة ، انها هكذا لماذا لا يصدّقني الجميع حين أقول أنّ الحالة الطبيعيّة للحياة هي الألم حيث لا يكون الفرح سوى اهتزازات موْسِمِيَّة تُغيِّرُ من خلالها الحياة قشرة الجرح و تُعَايِنُ سُمْكَهُ لكيْ تُعادِلَ بين الجميع ، فَلَا هي عَدَلَتْ ولا نحن يأسنا من الإنتظار .
وهذا يعني أنّنا كائنات مريضة بالأمل ، وهذا يعني أنّنا عاطِفِيُّون إلى حَدِّ التّخدير وهذه هي المرحلة

الأصعب والتي يعجز بعدها الإنسان عن السيطرة على ما تبقّى مِنْ مشاعِر ، حتّى أنّه يفقدها في بعض الأحيان...

هل تَرَيْنَ كيف أرى هذه الأشياء ؟

إنّي أراها في تجاعيد وجه الإنسان وفي يأس خُطُواته .

لكن صدّقيني أنا لا أريد سوى التخلص من هذه الأشياء ، ولا أطلب منكِ غيْرَ إخراجي من هذا المكان الرّث ، والهروب بي حيثُ تَقْبَعينَ أنتِ ، قد يكون المكان هناك أقلُّ عتمةً من هذا ، وقد يكون الشعورُ هناك أقلَّ حِدَّةً من هذا !

لأنّني أرى جَبِينَكِ أقلّ تجاعيدًا منِّي !

أُقَبِّلُ جَبِينَكِ أَنْ تأخُذيني إلى عَيْنَيْكِ ، وتخبّئيني عن الجميع ، ولا تُخْبِرِي أَحَدًا عن مكاني...

أنا مُرْهَقٌ من كلِّ ما في الأرض من تَزْيِيف ، إنَّهُمْ يُزَيِّفون حتى المشاعر يا حبيبتي !

وأنا أحبكِ دون تزييفٍ ، و دون تحريفٍ ، و دون شُرُوط .

أنا أكره الشروط ، لا يُغْرِيني شيءٌ في هذا العالم سِوَى الإنفلات ،

فهلّا فتحتِ صَدْرَكِ الحافي إلَيَّ لِأَنْفلتَ نحوه !

فَرُغْمَ القُيُود التي تُحَاصِرُ مِعْصَمِي ، أُرِيدُ أنْ أُعانِقكِ !

أُرِيدُ النِّهايةَ بين ذِراعيْكِ ، و أُرِيدُ بدايةً أخرى غير التي أَلَّفْتُها و لعَنْتُها في هذا الخطاب...

إنَّ اللّعنةَ تُصيبني و تصيبُ كلَّ من يقرأ هذه الفوضى ، أنا حَقًّا أَعْتَذِرْ.

لقد كانتْ عَيْنَيْكِ مَجَازَ كُلِّ الكَلِماتِ هنا ، و مَسْرَحًا لكُلِّ أحْلامِي النَبِيلة.

إذا كنتِ حقًّا موجودةً في هذا العالم فتكلّمي ، سوف أسمعكِ مهما كنتِ بعيدة.

****

منذ لحظات ألقيتُ نظرةً على دُرجي الذي خبّأتُ لك فيه عشرات الرسائل ، التي لم أُدوِّن على ظهر أيّة واحدة منها عنوانًا لأن جميعها تعرف الطريق المؤدِّي إليكِ .

مزّقتُ رسائلي وقسوةَ أيّامي ثم صعدتُ إلى السّطحِ الأَجْرَدِ وألقيتُ نظرة حزنٍ على شُرْفَةِ جَارَةٍ سَرَقَتْ أحلامي مع قِيتَارِهَا.

كانَ شُبَّاكُ غرفتها يُحَيِّينِي ، إنّه يحبّني ، لكنّني لَطالما كرهتهُ جدّا ،

كيف لا وقد كان يخفي وراءه فرحي لِوقتٍ طويل ؟

قُلْتُ للشّباك بصوتٍ خَافِتٍ «وداعًا»

للجميلةِ خلْفَ بِلَّوْرِهِ الوَرَقِيّ «وداعًا»
للمسافةِ بينِ صدري وبيتها «وداعًا»
للرّسائل التي شَتَّتَهَا الرّيحُ في المُنْتَصَفْ «وَدَاعًا»
وقُلْتُ لوِحْدَةٍ تنتظِرُ إنصراف الجميعِ «تَأَهَّبِي ،
ستكون سهرتُنَا إحتفالًا بالهَشَاشَةِ».
ثم تأمّلتُ في تفاصيل المدينة ، كانت تبدو جميلةً
وهادِئةً ،لا شيء يُعَكِّرُ صَفْوَ غُرْبَتِنَا فيها .
لَعَنْتُ مدينتي وغُرْبَتِي وجَارَةَ حُزْنِي ، و لَعَنْتُكِ أنتِ يا
جوفانا ، لأنّني أرسُمُكِ وأصفُكِ وأتغنّى بكِ بينما أنا لا
أعرِفُكِ ،
فماذا لوْ كنتِ بعد كلِّ هذا فتاةً خياليّةً لا وجود لكِ؟
ماذا لوْ كُنْتِ مُجَرَّدَ أوهامٍ تخرُجُ من نوَافِذِ لَوْعَتِي؟
فإنْ كُنتِ حقيقَةً يا عزيزتي ، وإنْ كُنْتِ كَمَا أكتُبُ
عنكِ فلَا تتأخَّرِي عنّي أكثرَ من هذا ، لأنّ الإنتظارَ
يقتُلُنِي ، واللهِ إنّ الإنتظار يقتلني.

أنا حقًّا آسفٌ يا حبيبتي لأجل تفكيرك الذي أرهقته بكل ما كتبتُه هنا ، و آسف لأن استيعاب هذا الخطاب قد يحتاج قراءةً اخرى ، واخرى بعد ذلك... فحتى هذا القلم الذي أكتب لك به يبدو أن الثمالة أصابته حتى الجفاف ،إنه قلمي الوحيد و أخاف أن يجف حبره قبل الإنتهاء من هذا الخطاب على الأقل.

لذلك يا جوڤانا وبعد أن جَهَّزتُ لك كل هذا الجنون إحتفالاً بميلادك وميلاد الأُنوثةِ سأحاول أن أكتب لك سرّا عالقا في صدري قبل أن يباغتني قلمي ، سرّا عظيما لم أخبر به أحدا من قبل ، سأحاول تدوينه قبل أن يجِفّ الحـــبـــ